

مولد الهدى كانت "مكة" على موعد مع حدث عظيم كان له تأثيره في مسيرة البشرية وحياة البشر طوال أربعة عشر قرناً من الزمان، وسيظل يشرق بنوره على الكون، ويرشد بهداه الحائرين، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها. وسخر كل ما فيه لخدمة الإنسان، وكأن هذا الكون كان يرتقب قدمه منذ أمد بعيد. وفي (12 من ربيع الأول) من عام الفيل شرف الكون بميلاد سيد الخلق وخاتم المرسلين "محمد" صلى الله عليه وسلم. وقد ذهب الفلكي المعروف "محمود باشا الفلكي" في بحث له إلى أنَّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولد يوم الإثنين (9 من ربيع الأول الموافق 20 من أبريل سنة 571 ميلادية). ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاعته عام الفيل (اختلاف في مولده صلى الله عليه وسلم، فذكر أنه كان في ربيع الأول، وهو المعروف. وهذا القول مخالف لقول من قال: إنَّ أمَّه حملت به في أيام التشريق وينذرون أنَّ الفيل جاء مكة في المحرم، وأنَّه صلى الله عليه وسلم ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوماً. وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم بالشعب؛ وقيل بالدار التي عند الصفا، وكانت بعد لammad بن يوسف أخي الحاج ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجَّت. راجع الروض الأنف والطبقات الكبرى لابن سعد والطبرى). واللدة: الترب، والهاء فيه عوض عن الواو الذاهية من أوله، وفي سائر الأصول: "لدتان" ولم تذكره كتب اللغة بدون تاء. رواية حسان بن ثابت، عن مولده صلى الله عليه وسلم. قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن (هو صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف بن عمران الزهري المدني، روى عن أبيه وأنس ومحمد بن لبيد والأعرج وغيرهم. وعنـه غير ابن إسحاق ابنه سالم والزهري ويونس بن يعقوب الماجشون وجماـعة. مات بالمدينة في خلافة هشام بن عبد الملك. عن تراجم رجال) إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، مأخذـه من اليقـاع ، يـفـعـة ابن سبع سنين أو ثمان ، أـعـقـلـ كلـ ماـ سـمعـتـ إـذـ سـمعـتـ يـهـوـدـيـاـ يـصـرـخـ بـأـعـلـىـ صـوـتـهـ عـلـىـ أـطـمـةـ (الأطمة بفتحتين: الحـصـنـ) بيـثـرـ: يا مـعـشـرـ يـهـودـ، حـتـىـ إـذـ اـجـتـمـعـواـ إـلـيـهـ، قـالـ مـحـمـدـ اـبـنـ إـسـحـاقـ: فـسـأـلـتـ سـعـيدـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ حـسـانـ بـنـ ثـابـتـ، فـقـلـتـ: اـبـنـ كـمـ كـانـ حـسـانـ بـنـ ثـابـتـ مـقـدـمـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ الـمـدـيـنـةـ؛ فـقـالـ: اـبـنـ سـتـيـنـ سـنـةـ وـقـدـمـهـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، وـهـوـ اـبـنـ ثـلـاثـ وـخـمـسـيـنـ سـنـةـ، فـسـمـعـ حـسـانـ مـاـ سـمـعـ وـهـوـ اـبـنـ سـبـعـ سـنـينـ. نـسـبـ النـبـيـ الشـرـيفـ هوـ "أـبـوـ الـفـاسـمـ" محمدـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ بـنـ هـاشـمـ بـنـ عـبـدـ مـنـافـ بـنـ قـصـيـ بـنـ كـلـابـ بـنـ مـرـةـ، وـيـمـتـنـدـ نـسـبـهـ إـلـىـ "إـلـيـاـسـ بـنـ مـضـرـ بـنـ نـزارـ بـنـ مـعـدـ بـنـ عـدـنـانـ" ، وـيـنـتـهـيـ إـلـىـ "إـسـمـاعـيلـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ" عـلـيـهـمـ السـلـامـ. وـأـمـهـ "آمـةـ بـنـتـ وـهـبـ بـنـ عـبـدـ مـنـافـ بـنـ زـهـرـةـ بـنـ كـلـابـ بـنـ مـرـةـ" ، وـرـوـيـ أـنـ جـدـهـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ رـأـيـ فيـ مـنـاـهـ كـأـنـ سـلـسـلـةـ مـنـ فـضـةـ خـرـجـتـ مـنـ ظـهـرـهـ، لـهـ طـرـفـ فيـ السـمـاءـ وـطـرـفـ فيـ الـأـرـضـ، وـطـرـفـ فيـ الـمـشـرـقـ وـطـرـفـ فيـ الـمـغـرـبـ، ثـمـ عـادـتـ كـأـنـهاـ شـجـرـةـ، عـلـىـ كـلـ وـرـقـةـ مـنـهـ نـورـ، فـتـأـوـلـهـاـ بـمـوـلـودـ يـكـوـنـ مـنـ صـلـبـهـ يـتـبـعـهـ أـهـلـ الـمـشـرـقـ وـالـمـغـرـبـ، وـيـحـمـدـ أـهـلـ السـمـاءـ فـسـمـاهـ "مـحـمـدـ". جـلـيةـ وـاضـحةـ مـنـ الـلـحـظـةـ الـأـلـوـلـيـ فـيـ حـيـاتـهـ، بـلـ إـنـهـ كـانـ قـبـلـ ذـلـكـ، وـقـدـ تـجـلـيـ ذـلـكـ حـتـىـ فـيـ اـصـطـفـاءـ اـسـمـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، فـلـيـسـ فـيـ اـسـمـهـ أـوـ اـسـمـ أـبـيهـ أـوـ جـدـهـ مـاـ يـحـطـ قـدـرـهـ وـيـنـقـصـ مـنـزـلـتـهـ، وـلـيـسـ فـيـ اـسـمـهـ شـيـءـ مـحـتـقـرـ، كـمـ أـنـهـ لـيـسـ اـسـمـاـ مـصـغـرـاـ تـسـتـصـفـرـ مـعـهـ مـنـزـلـتـهـ، اـبـنـ الذـبـيـحـينـ وـيـعـرـفـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـابـنـ الذـبـيـحـينـ، فـأـبـوهـ "عـبـدـ اللـهـ" هوـ الذـبـيـحـ الذـيـ نـذـرـ "عـبـدـ الـمـطـلـبـ" بـحـبـهـ ثـمـ فـدـاهـ بـمـائـةـ مـنـ الإـبـلـ، وـجـدـهـ "إـسـمـاعـيلـ" – عـلـيـهـ السـلـامـ – هوـ الذـبـيـحـ الذـيـ فـدـاهـ رـبـهـ بـذـبـحـ عـظـيمـ. وـقـدـ اـجـتـمـعـ لـلـنـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـ أـسـبـابـ الـشـرـفـ وـالـكـمـالـ مـاـ يـوـقـعـ فـيـ نـفـوسـ النـاسـ اـسـتـعـظـامـ، وـيـسـهـلـ عـلـيـهـمـ قـبـولـ مـاـ يـخـبـرـ بـهـ، وـأـوـلـ تـلـكـ الـأـسـبـابـ كـانـ شـرـفـ النـسـبـ "أـشـرـفـ النـسـبـ" مـاـ كـانـ إـلـىـ أـوـلـيـ الـدـيـنـ، وـأـشـرـفـ ذـلـكـ مـاـ كـانـ إـلـىـ النـبـيـنـ، وـأـفـضـلـ ذـلـكـ مـاـ كـانـ إـلـىـ الـعـظـمـاءـ مـنـ الـأـنـبـيـاءـ، وـأـفـضـلـ ذـلـكـ مـاـ كـانـ إـلـىـ نـبـيـ قدـ اـتـفـقـتـ الـمـلـلـ عـلـىـ تـعـظـيمـهـ".

ولـمـ يـكـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـهـوـدـيـاـ وـلـاـ نـصـرـانـيـاـ وـلـاـ مـجـوسـيـاـ، لـأـنـهـ لـوـ كـانـ مـنـ أـهـلـ مـلـةـ لـكـانـ خـارـجـاـ عـنـ دـيـنـ مـنـ يـدـعـوـهـ فـيـكـونـ عـنـهـمـ مـبـتـدـعـاـ كـافـرـاـ، وـذـلـكـ مـاـ يـدـعـوـهـ إـلـىـ تـنـفـيرـ النـاسـ مـنـهـ، وـإـنـمـاـ كـانـ حـنـيـفـاـ مـسـلـمـاـ عـلـىـ مـلـهـ آـبـائـهـ: "إـبـراهـيمـ" وـ"إـسـمـاعـيلـ" عـلـيـهـمـ السـلـامـ. مـولـدـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ إـيـذـانـ بـزـوـالـ الشـرـكـ كـانـ مـولـدـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ نـذـيرـاـ بـزـوـالـ دـوـلـةـ الشـرـكـ، وـنـشـرـ الـحـقـ وـالـخـيـرـ وـالـعـدـلـ بـيـنـ النـاسـ، وـرـفـعـ الـظـلـمـ وـالـبـغـيـ وـالـعـدـوـانـ. وـكـانـ الدـنـيـاـ تـمـوجـ بـأـلـوـانـ الشـرـكـ وـالـوـثـنـيـةـ وـتـمـتـلـئـ بـطـوـاغـيـتـ الـكـفـرـ وـالـطـغـيـانـ، وـعـنـدـمـاـ أـشـرـقـ مـولـدـ سـيـدـ الـخـلـقـ كـانـتـ لـهـ إـرـهـاـصـاتـ عـجـيـبـةـ، وـصـاحـبـتـهـ ظـواـهـرـ غـرـيـبـةـ وـأـحـدـاثـ فـرـيـدـةـ، فـفـيـ يـوـمـ مـولـدـ زـلـزلـ إـيـوانـ "كـسـرـىـ" فـسـقـطـتـ مـنـهـ أـرـبـعـ عـشـرـ شـرـفةـ، وـخـمـدـتـ نـارـ "فـارـسـ" وـلـمـ تـكـنـ خـمـدـتـ قـبـلـ ذـلـكـ بـأـلـفـ عـامـ، وـغـاضـتـ بـحـيـرـةـ "سـاـوـةـ". وـرـوـيـ عـنـ أـمـهـ أـنـهـ قـالـتـ: "رـأـيـتـ لـمـاـ وـضـعـتـهـ نـورـاـ بـدـاـ مـنـيـ سـاطـعـاـ حـتـىـ أـفـزـعـنـيـ، وـلـمـ أـرـ شـيـئـاـ مـاـ يـرـاهـ النـسـاءـ".

وـذـكـرـتـ "فـاطـمـةـ بـنـتـ عـبـدـ اللـهـ" أـنـهـ شـهـدـتـ وـلـادـةـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـقـالـتـ: "فـمـاـ شـيـءـ أـنـظـرـ إـلـيـهـ مـنـ الـبـيـتـ إـلـاـ نـورـ، وـإـنـيـ لـأـنـظـرـ إـلـىـ النـجـومـ تـدـنـوـ حـتـىـ إـنـيـ لـأـقـولـ لـتـقـعـنـ عـلـيـ". وـرـوـيـ أـنـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـلـدـ مـعـذـورـاـ مـسـرـورـاـ – أـيـ مـخـتوـنـاـ مـقـطـوعـ السـرـةـ – وـأـنـهـ كـانـ يـشـيرـ بـإـصـبـعـ يـدـهـ كـالـمـسـبـحـ بـهـ. مـحـمـدـ الـيـتـيمـ فـقـدـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـبـاهـ قـبـلـ مـولـدـهـ، وـكـانـتـ وـفـاةـ أـبـيهـ بـالـمـدـيـنـةـ عـنـ أـخـوـالـ أـبـيهـ مـنـ "بـنـيـ النـجـارـ" وـهـوـ فـيـ الـخـامـسـةـ وـالـعـشـرـيـنـ مـنـ عـمـرـهـ، وـعـلـىـ عـادـةـ الـعـرـبـ فـقـدـ أـرـسـلـهـ جـدـهـ إـلـىـ الـبـارـيـةـ

ليسترضع في "بني سعد"، وكانت حاضنته "حليمة بنت أبي ذؤيب السعدي"، فلم يزل مقيماً في "بني سعد" يرون به البركة في أنفسهم وأموالهم حتى كانت حادثة شق الصدر، فخافوا عليه وردوه إلى جده "عبد المطلب" وهو في نحو الخامسة من عمره. وكان محمد صلى الله عليه وسلم قد تجاوز السادسة بثلاثة أشهر، وكأنما كان على "محمد" صلى الله عليه وسلم أن يتجرع مرارة اليتم في طفولته، ليكون أباً لليتامي والمساكين بعد نبوته، وليتضح أثر ذلك الشعور باليتامى وبره بهم، محمد في كفالة جده وعمه فلما مات "عبد المطلب" وكان "محمد" في الثامنة من عمره، كفله عمه "أبو طالب"، فكان خير عن له في الحياة بعد موت جده، مع ما كان عليه من الفقر، وكان "أبو طالب" يحب محمداً ويؤثره على أبنائه ليغوضه ما فقده من حنان وعطف. وحينما خرج "أبو طالب" في تجارة إلى "الشام" تعلق به "محمد" فرق له "أبو طالب" وأخذه معه، فلما نزل الركب "بصري" - من أرض "الشام" - وكان بها راهب اسمه "بحيرى" في صومعة له، فلما رأه "بحيرى" جعل يلحظه لحظاً شديداً، ثم أقبل على عمه "أبي طالب" فأخذ يوصيه به، محمد في مكة وشهد "محمد" صلى الله عليه وسلم حرب الفجار - الذين فجرروا القتال في شهر الله الحرام رجب - وكان في السابعة عشرة من عمره، وحضر "حلف الفضول" وقد جاوز العشرين من عمره، ولو دُعيت إليه اليوم لأجابت". وقد عُرف النبي صلى الله عليه وسلم - منذ حادثة سنه - بالصادق الأمين، وكان موضع احترام وتقدير "قريش" في صباحه وسبابه، حينما أعادوا بناءها عندما تهدمت بسبب سيل أصابها، وأرادت كل قبيلة أن تحظى بهذا الشرف حتى طار الشرُّ بينهم، وكادوا يقتتلون، فبسط رداءه، ثم وضع الحجر وسطه، وطلب أن تحمل كل قبيلة جانبًا من جوانب الرداء، فلما رفعوه جميعاً حتى بلغ الموضع، أخذه بيده الشريفة ووضعه مكانه. وعندما بلغ "محمد" صلى الله عليه وسلم الخامسة والعشرين تزوج السيدة "خديجة بنت خويلد"، قبل أن يبعث، فولدت له "القاسم" و"رقية" و"زينب" و"أم كلثوم"، وولدت له بعد البعثة "عبد الله".